

مخذر الفئة الحاكمة

«نحن في دور المهددين . مهمتنا شق الطريق للجيل الجديد لاتعييدها، رفع الاشواك لازرع الرياحين، غرس البذور الخالدة لاقطف الثمار اليانعة؛ لذلك لن ندخل الحكم عاجلا، وفي صف النضال سنبقى طويلا».

«ان استفحال الامراض التي تفتك بالامة، وعمق الآلام التي تحز في جسمها، لم تعد تنجع فيها حيلة السياسيين مهما كانوا اذكياء بارعين، ولا بد لها من مناضلين مؤمنين، يستمدون روح نضالهم واسلوبه من روح أمتهم وأخلاقها».

نحن اذ ننتقد الفئة الحاكمة ونحذرنا من عاقبة الاستمرار في سياستها، انما نوجه في الواقع تحذيرنا الى الشعب، لاننا لانتظر منها اي اصلاح . فهي خاضعة لمنطق منبعث من صميم تشكيلها، يحتم عليها الخطأ والفسل . ان الخطيئة الكبرى كانت في دخول هذه الفئة الحركة الوطنية وفي استلامها قيادتها . اذ ليس في وضع الطبقة الاجتماعية التي تشكلت منها القيادة الوطنية ما يؤهلها لحمل عبء النضال القومي ومتابعته بجرأة وأستقامة حتى النهاية . فمصالحها الاقتصادية وأعتبراتها العائلية تضرب حولها نطاقا من القيود توقفها في منتصف الطريق ، وتغريها بالتراجع والتساهل .

(١) تحليل عقلية الفئة الحاكمة هو اهم ما في هذا البيان الذي كتبه الاستاذ ميشيل عفلق واصدره في حمص بعد نفي الاستاذ صلاح البيطار الى (الميادين).

كان الشعب في سوريا في ذلك الحين يعاني من عقدة موجودة عن الفئة الحاكمة . ظروف البلاد وظروف الفئة الحاكمة دفعتها الى اتباع الاسلوب الانتهازي - ولكنها بقيت تذكر باضيمها النضالي - كان هذا التذكير يستعمل لاسكات المعارضة وتثبيت اقدامها في الحكم . هذه العقدة كان المطلوب كشفها دوما امام الشعب : ان الماضي وحده ليس كافيا بدون النظر الى الحاضر .

يضاف الى ذلك نقص واضح في الكفاءة ومستوى التفكير، وشوائب عديدة تخالط تربيتها الاستبدادية الاستغلالية المتغترسة، وصدق انتماؤها الى الوطن الذي تبنت قضيته، وأدعت انها تمثل روحه ومصالحته.

لقد كان محتوما على قيادة من هذا النوع ان تعجز عن القيام بواجبات نضال لانميل اليه ميلاً طبيعياً، وان تعضق في كسب الثقة والتأييد من شعب لا تشعر نحوه بحب او احترام. فتعبها من النضال وتلكؤها فيه لم ينتجا عن كون هذا النضال متعذراً او شاقاً على الشعب، بل من ان الشعب لم يجد امامه القيادة التي توحى اليه الثقة بتجردها وكفاءتها، والتي تمهد له السبل، وتزيل من طريقه العقبات، وتنظمه على شكل يستطيع معه ان يظهر كل ما فيه من قوى وممكنات.

هذا ما اغرى رجال القيادة الوطنية بالتخلي عن مهمتهم الاولى، فانقلبوا الى ساحة السياسة الانتهازية، املا بأن ينالوا، عن طريق الحكم، وسلطاته ومغرياته، ذلك التأييد الاجماعي القوي الذي عزز عليهم كسبه خارج الحكم، فكانت النتيجة ان خسروا البقية الباقية منه.

ان السياسة الانتهازية التي تقوم على اغتنام الفرص، والرضا بالممكن، والاخذ بالمطالبة، هي سياسة جائزة لها مبرراتها في بعض الظروف والاحيان. ولكن ما ليس له مبرر هو اعتبارها الغاية والمثال، وانها الشيء الوحيد المشروع، وان تحاول مالا يعقل، فتدعي انها مستمرة في النضال امينة على اهدافه، وهي تجبر الشعب كل يوم على قبول التساهل والاعتدال.

لقد آن للشعب ان يعي هذه الحقيقة: في بلاد لاتزال محكومة من الاجنبي، كل حكم يقوم، هو بالضرورة خاضع لنفوذ هذا الاجنبي، ان كثيرا وان قليلا. ولا يعقل ان يقوم هذا الحكم وان يبقى يوما واحدا اذا لم يكن قد قبل بمبدأ التنازل عن بعض الحقوق والتساهل في بعض الاهداف. فمن التفضيل المجرم ان يسمى الحكم الذي ينشأ في مثل هذه الشروط «بالحكم الوطني» مهما كانت مزاياه التي ترفعه عن مستوى العهود الرجعية. اما القيادة الوطنية في مثل هذا الحال، فليس لها غير مكان طبيعي واحد، هو مكان النضال في صف الشعب، من اجل التنبيه والتحذير، والضغط

والمقاومة، كي تحول دون اي تفريط بحقوق الامة، وتمنع كل تساهل لانتقضية
الضرورة القاهرة. اذن ففي البلاد التي لا يزال فيها اقل اثر لسلطة الاجنبي، لا يمكن
ان تكون القيادة في الحكم، وان يكون مع الحكم وطنية صحيحة، وان تكون الزعامة
الا في صف الشعب.

تلك هي الحقيقة، لن نفتر عن اعلانها، كما اعلناها صلاح الدين البيطار ناصعة
جلية، وتحمل في سبيل ذلك النفي والاعتقال. ونحن نعلم ان الفئة الحاكمة لن يؤثر
فيها النصح والتحذير، وانها بدلا من ان تتدارك النهاية المحزنة التي تمشي اليها،
وتلتزم حدود الدستور، تحشد الآن قواتها للدفاع الأخير، فتتأمر على المجلس النيابي
وتعرقل جلسيتين متواليتين له، وتصدر بلاغات ارهابية، وتستخدم اساليب في القمع
والتعدي على الحريات ليست بعيدة عن اساليب الاستعمار.

في استطاعة الحكومة ان تسجن وتنفي وتضطهد فردا او افرادا. ولكن ما عساها
تفعل بجيل جديد بكامله، يقدس الحق ويحن الى البطولة، أقسم ان يكون للعروبة
وجه غير الذي اظهرها به السياسيون، وان يفهم الاخلاق والوطنية على غير ما فهم
المحترفون.

عن مكتب البعث العربي

ميشيل عفلق

حمص في ١٤ آذار ١٩٤٥